[١٤٢ – عن سُمَيٍّ مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبي صالحٍ السمان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – (أن فقراء المسلمين المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرةً). قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء). قال سميٌّ: فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث فقال: وهمت! إنما قال: (تسبح الله ثلاثًا وثلاثين وتحمد الله ثلاثًا وثلاثين وتكبر الله ثلاثًا وثلاثين) فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك فقال: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله حتى يبلغ من جميعهن ثلاثًا وثلاثين].

ذكر المصنف – رحمه الله – هذا الحديث الشريف الذي يدل على سنةٍ من سنن النبي ﷺ والتي يستحب لمن فرغ من صلاته أن يحافظ عليها، وهذه المعقبات والكلمات الطيبات التي دل عليها رسول الله ﷺ فقراء المهاجرين ودل عليها أمته – صلوات الله وسلامه عليه – فيها أجرٌ عظيمٌ وثوابٌ كبيرٌ يدرك به الإنسان من سبقه ويفوت به من بعده إلا أن يعمل مثل عمله. اعتنى المصنف – رحمه الله – بإيراد هذا الحديث بعد صفة صلاة النبي ﷺ ؛ لأن هذا الذكر إنما يشرع بعد الفراغ من الصلاة، وقد بينا أن هدي رسول الله ﷺ : أنه كان إذا فرغ من الصلاة استغفر ثم بين بالسنة القولية هذا الذكر الذي ندب إليه وبين فضله العظيم وثوابه الكريم.

قوله – رحمه الله –: **[أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ]** هذا الحديث ورد عن عدةٍ من الصحابة – رضوان الله عليهم – منهم: أبو هريرة وعبد الله بن عباسٍ وعبد الله بن عمرٍو بن العاص وغيرهم – رضي الله عنهم أجمعين – واختلفت الألفاظ إلا أن المعاني متقاربةٌ **[أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ]** والفقراء:

جمع فقيرٍ والفقير: هو الذي لا يجد قوت يومه ولا يجد كفايته ولا كفاية من يعوله من ولده وأهله. والفقر أشد من المسكنة وأعظم بلاءً منها والفقير أحوج من المسكين؛ لأن المسكين يملك بعض نفقته أو أغلب نفقته وأما الفقير فإنه لا يملك النفقة، ولذلك وصف الله بالمسكنة من هو فوق الفقر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ فوصفهم بالمسكنة مع كونهم مالكين للسفينة وعندهم ما يدخل عليهم الرزق بإذن الله تعالى – وهي السفينة –. ومن هنا قال العلماء: الفقير أحوج من المسكين وأحق بالزكاة من المسكين، فلو اجتمع فقيرٌ ومسكينٌ وتعين صرف المال إلى أحدهما قدم الفقير على المسكين.

وقوله – رحمه الله –: **[أن فقراء المهاجرين]** المهاجرون: جمع مهاجرٍ، وإذا أطلقت الهجرة فالمراد بها: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهي باقيةٌ إلى أن تطلع الشمس من مغربها كما قال ﷺ: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وأما الهجرة إذا أطلقت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإنها أفضل الهجر وأعظمها عند الله – عز وجل – شأنًا: وهي هجرة أصحاب النبي ﷺ من مكة إلى المدينة. وإذا قيل: "المهاجرون" فالمراد بهم: أصحاب النبي ﷺ الذين أوذوا في الله واضطهدوا في دين الله، فانتقلوا من مكة إلى المدينة؛ لإعلاء كلمة الله واستجابةً لأمر الله – سبحانه وتعالى –، وكان المهاجرون – رضي الله عنهم وأرضاهم – أشد فقرًا من الأنصار والسبب في ذلك: أنهم تركوا ديارهم وتركوا أهلهم وأولادهم، ولذلك كان صهيبٌ – رضي الله عنه – من أغنى خلق الله مالاً ولما أراد الهجرة وقف أهل مكة في وجهه وقالوا له: أتيتنا صعلوكًا لا مال لك فلما أصابك الغنى أردت أن تتحول عنا بما أصبت من أموالنا!! قال: أرأيتم إن تركت لكم مالي أتتركوني أهاجر في سبيل الله؟ قالوا: نعم، فترك ماله لله – عز وجل – ، وهاجر – رضي الله عنه وأرضاه –. ولما قتل – رضي الله عنه – يوم أحدٍ لم يجدوا إلا شملةً واحدةً إن غطوا بها قدمه بدا وجهه وإن غطوا بها وجهه بدت قدماه وذلك من شدة فقره – رضي الله عنه وأرضاه –، ولذلك لما رآه النبي ﷺ قادمًا من هجرته قال: (ربح البيع يا صهيب ربح البيع يا صهيب) فربح – رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعالي الفردوس مسكنه ومثواه –. كان فقراء المهاجرين كان الفقر فيهم أكثر بسبب ما ذكرنا فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ، يقول العلماء: إن هذا المجيء كان بسبب التنافس في الخير، وهو الذي يسميه العلماء: بحسد الغبطة: أن يغبط المسلم أخاه المسلم على ما هو فيه من الخير فيتمنى أن يبلغه الله – عز وجل – ما أعطاه من الخير والبر. فجاء فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، ما جاءوا يسألونه الدنيا وما جاءوا

يشتكون من الفقر الذي هم فيه وما جاءوا ينافسون إخوانهم في متاع الدنيا، ولكن انصرفت أبصارهم من الغنى والنعمة والثراء الذي كان فيه إخوانهم إلى ما هو أعظم وأزكى وأجل وأبقى – وهي الآخرة –.

فقالوا: **[يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور]** ما قالوا: ذهبوا بالدنيا ولا اشتكوا ما هم فيه من النعيم وما هم فيه من الضيق، وإنما قالوا: **[ذهب أهل الدثور بالأجور]** فاشتكوا ما هم فيه من قلة الأجر مع أن غيرهم أكثر أجرًا وأعظم برًا **[ذهب أهل الدثور]** "الدثور" مأخوذٌ من الدثر، قال بعض العلماء: إن الدثر هو الغنى والكثرة من كل شيءٍ – سواءٌ كان من المال أو كان من غير المال –، فقولهم: **[ذهب أهل الدثور]** أي: أهل الغنى والأموال الكثيرة. **[ذهب أهل الدثور بالأجور]** و"الأجور" جمع أجرٍ، والأجر هو الثواب والعوض، والله تعالى لا يضيع عمل العاملين ولا يبطل سعي من سعى لوجهه – جل وعلا – فجعل لكل سعي ثوابًا وأجرًا وحسابًا، فمن هنا قالوا: **[يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم]** وفي روايةٍ: (ويجاهدون) قالوا: (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) فهنا كان السبق، وفي روايتنا: **[ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق]** وأما في الرواية الأخرى: (ويتصدقون بفضول أموالهم) والفضول: جمع فضلٍ وهو الشيء الزائد. قالوا: قولهم – رضي الله عنهم –: **[يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم]** أي: أننا نحن وإياهم سواءٌ في الطاعة ولكنهم يفضلون علينا بنعمة الغنى التي شكروها بالصدقات والعتق وما يكون من الخير والبر عن طريق المال. في هذه الجملة دليلٌ على ما ذهب إليه بعض العلماء: من أن الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر وهي مسألةٌ خلافيةٌ، هل الأفضل أن يكون الإنسان غنيًا شاكرًا، أم الأفضل أن يكون فقيرًا صابرًا؟ قال بعض العلماء: الأفضل: أن يكون فقيرًا صابرًا؛ لأنه إذا ضاق عليه حاله واشتد عليه أمره عظم أجره عند الله – سبحانه وتعالى –، ولأن النبي ﷺ – وهو خير خلق الله وأفضل عباد الله – اختار الله له ضيق اليد فعاش مسكينًا – صلوات الله وسلامه –، عليه يمر الشهر والشهران وما يوقد في بيته نارٌ، وكان ﷺ في حجرته لو نامت أم المؤمنين – رضي الله عنها – لما استطاع أن يسجد حتى تقبض رجلها لكي يسجد مكانها. قالوا: فاختار الله لنبيه عيشة الزهد واختار له البلغة من هذه الدنيا، ولذلك قالوا: إنه إذا عاش فقيرًا وضاقت عليه أحواله فإن هذا بلاءٌ وهذا البلاء له أجره وله ثوابه عند الله – سبحانه وتعالى –، قالوا: فيفضل الفقر على الغنى من هذا الوجه؛ لأن الله اختاره لنبيه ﷺ ، وقد سأل ربه فقال: (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا) وقال بعض

العلماء: إن الأفضل: الغنى مع الشكر، وقد سأله نبيٌّ من أنبياء الله – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –، فقال سليمان – عليه السلام –: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ فأعطاه الله وأغناه وأوسع له من فضله وقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ قالوا: فإذا كان الإنسان غنيًا فضل على الفقير من وجوهٍ:

أولها: أن الغنى يفرغه لذكر الله ويصرفه عن الحاجة إلى الناس وذل المسألة. ثم إن الغنى يتفرغ به قلبه لطاعة الله – عز وجل – فيصلي ويعبد الله – عز وجل – ويقبل عليه بكليته، بخلاف ما إذا كان فقيرًا أو مديونًا أو معسرًا أصابه الهم وأصابه الذل، ولذلك يشتد عليه الأمر حتى لربما شوش عليه في عبادته وطاعته. وقالوا أيضًا: إنه يتصدق بفضل المال، وقد قال ﷺ: (نعم المال الصالح عند الرجل الصالح) ثم قالوا: هذا أبوبكر خير الأمة بعد نبيها – صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله عنه – اختار الله له الغنى فكان – رضي الله عنه – غنيًا شاكرًا سخر ماله في طاعة الله حتى أنزل الله – عز وجل – على نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – حينما تصدق بماله في الهجرة، قال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ فأخبر الله عن فضله وعلو درجته حينما سخت يده في طاعة الله ومرضاة الله. ثم قالوا: إنه إذا تصدق على الناس أدرك ما يدرك به العابد فضل العبادة، فقال ﷺ: (الساعي على الأرملة، كالصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر) قالوا: فلو عال أيتام المسلمين وأرامل المسلمين وسلط ماله في هلكته بالحق فأحسن، فإنه يعين الناس على خيرٍ كثيرٍ ويدرك بذلك فضل الصائم القائم، ولأن النبي ﷺ فضل الصدقات وتفريج الكربات وأخبر أنها حجابٌ من النار فقال – كما في الصحيحين من حديث عديٍّ – رضي الله عنه وأرضاه – عن العبد إذا حشر قال: (ثم ينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة). قالوا: فدل هذا على فضل الصدقة وأنها تحجب العبد عن سخط الله وغضب الله، وتحول بينه وبين دخول النار. ثم إن النبي ﷺ فضل الصدقات، وأخبر أن في الجنة بابًا يدعى منه أهل الصدقات، فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. قالوا: فمن مجموع هذه النصوص يتبين أن المال إذا كان عند العبد الصالح وأنفقه في طاعة الله وسخره في مرضاة الله، فإن ذلك أفضل له من أن يعيش فقيرًا أو يعيش مسكينًا. أما من حيث النصوص: فلا شك أن النبي ﷺ استعاذ بالله ﷻ من

الفقر وقال: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والغم والفقر) فاستعاذ بالله ﷻ من الفقر ومن الكفر واستعاذ بالله ﷻ من غلبة الدين ومن قهر الرجال، ولذلك قالوا في الحكمة: إن الإنسان إذا أصابه الدين أصابه هم الليل وذل النهار. فمن حيث النصوص: لا شك أن الفقر فيه ابتلاءٌ للإنسان وكون النبي ﷺ يستعيذ منه مع أنه أكمل عباد الله صبرًا وأكملهم ثباتًا، فلو كان الأفضل: أن يعيش فقيرًا لسأل الله ذلك، فكونه يستعيذ بالله من الفقر لا شك أنه يدل على أنه لا يبلغ مرتبة الغنى مع الشكر. ثم إن النصوص التي دلت على تفضيل الشكر وعلى علو درجة صاحبه وإنعام الله ﷻ على العبد وكونه بخير المنازل يوم القيامة إذا سلط ماله على هلكته في الحق، مع أن حديثنا يقوي هذا المعنى فإن الفقراء اشتكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: **[يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور]** ولم ينكر النبي ﷺ ذلك عليهم وإلا لقال: "حالكم أفضل من حالهم" ولكنه أقرهم على ذلك، الأمر الذي يدل على أن الغنى مع الشكر قد يكون أفضل من الفقر مع الصبر، والذي تطمئن إليه النفس: لا شك أنه إذا أعطي المال وكان عطاء الله له من مالٍ حلالٍ ومن كسبٍ طيبٍ – ولا يقبل الله إلا طيبًا –، وكان عنده من الصلاح والورع ما يحجبه عن أموالٍ محرمةٍ وأموال الشبهات، فالتمس المال من وجهه وأخذه من حله ومحله الذي أذن الله له أن يأخذه منه، ثم أنفقه في طاعة الله وسخره في مرضاة الله، فكفكف به دموع اليتامى وجبر به قلوب الأرامل والثكالى، فأرجو أن يكون خيرًا وأفضل عند الله ﷻ ممن سواه. وعلى هذا: فإن النفس تطمئن إلى تفضيل الغنى مع الشكر، إلا أنه يعكر على هذا: أن فقراء المسلمين ومساكينهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء؛ لأن الأغنياء يحبسون على الحساب والسؤال عن الخطأ والصواب، ومن هنا: لا شك أنها مزيةٌ للفقر من هذا الوجه فإن صاحبه في عافيةٍ. ذكروا عن سليمان – عليه السلام –: "أنه مر على رجلٍ كان فقيرًا – وكان رجلاً معروفًا بالحكمة والعقل –، فقال له: ما ترى ما أنا فيه وما أنت فيه؟ فقال: يا نبي الله! إن الله سخر لك وأعطاك وآتاك وابتلاني، إنك تأكل كما آكل وتشرب كما أشرب وتنام كما أنام، إلا أنك تُسأل ولا أُسأل، فبكى – عليه الصلاة والسلام –". فالغنى بلاؤه في السؤال وبلاؤه في الامتحان، حتى ولو أنه أخذ المال من مالٍ حلالٍ فإن الله يسأله حتى يبين حل ماله ولذلك لا بد من الحساب، وقد جاء عنه – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الحسن: أن عبد الرحمن بن عوفٍ – رضي الله عنه – يدخل الجنة حبوًا. وأشار بعض العلماء إلى ذلك في كونه ابتلي بالغنى فالغنى فيه ابتلاءٌ، ولذلك يكثر عمال الإنسان ويكثر مستخدموه فيسأل عنهم بين يدي الله ويحاسب عن أعمالهم مع الناس، وتسأل عمن

كلفته بالعمل سواءٌ أخطأ أو أصاب، فإن أخطأ فإنك شريك له؛ لأنك اخترته وزكيته وجعلته بينك وبين الله، وإن أصاب فالحمد لله، ولذلك يكون الغنى بلاءًا وعناءً على العبد من هذا الوجه. أما لو أن الله سخر للعبد غنىً فجاءه بميراثٍ أو جاءه بإرثٍ بدون كلفةٍ وبدون عناءٍ، فاختار الآخرة وأنفق ذلك المال في طاعة الله ومرضاته وأهلكه في محبته وابتغاء جنته، فإنه بخير المنازل يوم القيامة، ولذلك بين النبي ﷺ أن الغبطة تكون في من أعطاه الله مالاً فسلطه على هلكته بالحق.

فلا شك أن الغنى مع الشكر والقيام بحقوق النعمة والوفاء بها، لا شك أن صاحبه بخير المنازل يوم القيامة.

قال – عليه الصلاة والسلام –: **[ألا أدلكم على ما تدركون به من سبقكم وتسبقون من بعدكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله!]** في هذا دليلٌ على أنه يستحب للعلماء وطلاب العلم إذا سألهم المفضول عن الأعمال الصالحة التي تبلغه درجة الأفضل أن يُدل على ذلك، وهذا من النصيحة لعامة المسلمين، فإن رسول الله ﷺ لما اشتكى إليه أصحابه الفقراء – رضي الله عنهم وأرضاهم – أنهم بمنزلةٍ دون منزلة الأغنياء حرص – بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه – على دلالتهم على ما يبلغوا به درجة المحسنين الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ﷻ ومرضاته.

قال ﷺ: **[تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرة]** هذه الألفاظ الثلاثة – التسبيح، التحميد، التكبير – أذكار الصلوات، لذلك قال – عليه الصلاة والسلام –: **[دبر كل صلاةٍ]** وقد اختلفت النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ فيها، فهناك نصوصٌ: أن كلاً من التسبيح والتحميد والتكبير يكون ثلاثًا وثلاثين – كما في حديثنا – ويكون ختام المئة قول "لا إله إلا الله"، وهناك أحاديث تبين أن التسبيح والتكبير والتحميد يكون ثلاثًا وثلاثين ثم يكون ختام المئة "الله أكبر" فيكون التكبير أربعًا وثلاثين، وهناك نصوصٌ وأحاديث تدل على أن كل واحدةٍ منهن تقال عشر مراتٍ مع التهليل عشرًا، وهناك نصوصٌ – كما في رواية البزار عن ابن عمر – تكون كل واحدةٍ منهن إحدى عشرة مرةً، وهناك نصوصٌ تكون كل واحدةٍ منهن خمسًا وعشرين، كل هذا يعتبر من خلاف التنوع وليس من خلاف التضاد، فإن شئت سبحت الله وحمدته وكبرته ثلاثًا وثلاثين ثم قلت تمام المئة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير" فقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أن (من قال: "سبحان الله والحمد لله والله

أكبر" ثلاثًا وثلاثين كل واحدةٍ منهن ثم قال – ختام المئة –: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ" غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) والرواية صحيحةٌ، وهذا يدل على فضل هذا الذكر وعظيم ما أعد الله ﷻ بسببه من الثواب وحسن المآب. وكذلك إذا شاء أن يقول: "سبحان الله" ثلاثًا وثلاثين و"الحمد لله" مثل ذلك، ثم يقول أربعًا وثلاثين "الله أكبر" فهذه صورةٌ، وحينئذٍ لا يكون فيها التهليل، وفي هذه الحالة يستحب أن يجعل التهليل عقب الصلاة مباشرةً فيقول عقب صلاته: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير" يقولها إن شاء مرةً وإن شاء عشر مراتٍ – كما في الرواية الأخرى –، ثم يقول التسبيح والتحميد والتكبير بالصفة التي ذكرنا. وإن شاء جعل كل واحدة منهن خمسًا وعشرين خمسًا وعشرين حتى يبلغ المئة بالأربعة – التسبيح خمسًا وعشرين والتحميد مثل ذلك والتكبير مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك –، هذه كلها صفاتٌ تعتبر أنواعًا للذكر، ومن هنا: يكون الخلاف في هذا خلاف تنوعٍ وليس بخلاف تضادٍّ، فليس بين الروايات والأحاديث عن رسول الله ﷺ اختلافٌ في مثل هذا.

قوله – عليه الصلاة والسلام –: **[تسبحون]** مأخوذٌ من قولك: "سبحان الله" يقال: سبح إذا قال: "سبحان الله"، ومعنى "سبحان الله": أنزه الله – عز وجل – عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب. الله – جل جلاله – له الكمال المطلق – جل جلاله وتقدست أسماؤه –، فليس له شريكٌ ولم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكن له كفوٌ أحدٌ، وهو – سبحانه وتعالى – المنزه عن كل شيءٍ لا يليق به، فإذا قلت: "سبحان الله" فقد نزهت الله – جل جلاله – عن كل ما لا يليق به ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ فهو – سبحانه – الكامل الذي له الكمال المطلق – جل جلاله وتقدست أسماؤه –، فمن حق الله على عبده: أن ينزهه وأن يسبحه ويقدسه، ولشرف التسبيح اختاره الله لملائكته ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ يسبحونه – سبحانه وتعالى – ولا يفترون عن تسبيحه، وإن استغنى إنسانٌ عن تسبيح الله – جل جلاله – فقد سبحته الكائنات، وسبحت له الأرض والسماوات، وسبح له كل شيءٍ في هذا الوجود – جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره –.

وقوله: **[وتحمدون]** أي: أن يقول: "الحمد لله" والحمد: الثناء، والمراد به: الوصف بالجميل الاختياري على المنعم بسبب كونه منعمًا على الحامد أو غيره. الله – جل جلاله – له الحمد الكامل المطلق الذي لا يليق إلا به – سبحانه وتعالى –. له الحمد كالذي نقول، وله الحمد خيرًا مما نقول، وله الحمد كالذي يقول – سبحانه وتعالى –، له الحمد في الأولى وله الحمد في الآخرة، ولذلك جعل الله الحمد في استفتاح الخلق فقال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وجعل الحمد في ختم الفصل والقضاء يوم القيامة، فالملائكة يسبحون بحمد ربهم، فإذا قضي بين الخلائق حُمد – سبحانه وتعالى –، حُمد على فضله وكرمه وتمام عدله – جل جلاله وتقدست أسماؤه – قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فله الحمد – سبحانه وتعالى –، ولشرف الحمد وفضله وعلو شأنه اختاره الله ﷻ في استفتاح الأمور، فاستفتح به أحب الأشياء إليه – وهو كلامه سبحانه وتعالى – ، ففي فاتحة الكتاب – التي سماها رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب – التي لا تصح صلاة المسلم إلا بها، يقول سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ استفتحها بحمده – سبحانه وتعالى –، وله الحمد في العشي وله الحمد في الإبكار، وله الحمد في الأولى وله الحمد في الآخرة، فله الحمد في الزمان وله الحمد في المكان – جل جلاله وتقدست أسماؤه –.

فإذا قال المسلم: "الحمد لله" فينبغي أن يستشعر معنى هذه الكلمة فإنها ثناءٌ على الله – جل جلاله –، يحق لك أن تحمد الله – سبحانه وتعالى –، فهو الذي أحياك وكنت ميتًا، وهو الذي أغناك وكنت فقيرًا، وهو الذي أعزك وكنت ذليلاً، وهو الذي هداك وكنت ضالاً، تحمد الله – سبحانه وتعالى – فإذا قلت: "الحمد لله" تقولها وأنت مستشعرٌ عظيم فضله وجميل منته وجليل إحسانه وكرمه، فتقول: "الحمد لله"، ولذلك قال ﷺ: (وسبحان الله والحمد لله تملأ كما بين السماء والأرض) فإذا قال العبد: "الحمد لله" من قلبه خالصًا مخلصًا لوجه ربه كانت كما لو ملئ ما بين السماء والأرض من الأجر والثواب، وهذا فضلٌ عظيمٌ ولذلك كتب الله الرضا على أهل الحمد، فقال ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها) فالله – سبحانه – رضي عن أهل هذه الكلمة وإذا رضي الله – عز وجل – عن عبده أرضاه في الدنيا والآخرة. وفي الحديث الصحيح الذي يدل على فضل الحمد وشرفه: أن الله تعالى اختاره في النعمة

والنقمة، اختاره في السراء والضراء، اختاره في الذل والعز، فقال ﷺ في الحديث الصحيح: (إن العبد إذا فجع بولده ...) فإذا جاءه الخبر أن ولده مات وأصابته المصيبة في ولده وفلذة كبده فيقول: "الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون" (صعدت الملائكة إلى الله – جل جلاله – فسألهم الله ﷻ)؛ لأنه أمرهم أن يقبضوا ثمرة فؤاد عبده – وهو ولده الذي يعزه ويحبه – (فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ – يعني: قبضتم ولده وتوفيتموه – قالوا: نعم، فيقول الله ﷻ: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع – يعني: قال: الحمد لله، ثم استرجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون – فيقول الله ﷻ: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه "بيت الحمد"). فهذا فضلٌ عظيمٌ يدل على فضل هذه الكلمة ولذلك اختيرت معقبةً للصلاة، وهي من المعقبات التي لا يخيب قائلها.

وأما قوله: **[وتكبرون]** هذه ثلاث كلماتٍ متتابعةٍ، فأولاً: تسبح الله وتنزهه عما لا يليق به فتقول: "سبحان الله"، ثم تحمده على فضله ومنه وكرمه وإحسانه – سبحانه وتعالى –، فإذا حمدته، حينئذٍ: تكبره وتقول: "الله أكبر"، فجعلت مرتبةً على هذا، وهذا هو أنسب ما ورد في الروايات: أن تبدأ بالتسبيح ثم التحميد ثم التكبير، ويجوز تقديم التكبير وتأخير ما بقي ويجوز تقديم التحميد وتأخير ما بقي كل ذلك جائزٌ، ولكن الأفضل والأكمل: أن يبدأ بالتسبيح ثم التحميد ثم التكبير بعد ذلك.

"الله أكبر" والأكبر من كل شيءٍ أعظم – سواءٌ كان ذلك في المحسوسات أو كان في المعنويات –. والله – سبحانه وتعالى – أكبر من كل شيءٍ، كبر – سبحانه وتعالى – وأمر عباده أن يكبروه وأن يعظموه – سبحانه وتعالى –، ولشرف هذه الكلمة – وهي قولك الله أكبر – لشرفها وعظيم مكانتها عند الله – عز وجل – اختارها في الصلوات التي هي أشرف المواطن التي يقف فيها العبد بين يدي الله – جل جلاله –، فاختار للانتقال بين أركانها تكبيره – سبحانه وتعالى –، وجعل استفتاح الصلاة التي هي قرة عين النبي ﷺ في هذه الدنيا بالتكبير، كما في الحديث الصحيح عن عليٍّ – رضي الله عنه وأرضاه – أن النبي ﷺ قال: (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم) فلا تنعقد صلاة المسلم إلا بالتكبير، ولفضلها أمر الله ﷻ بها عباده فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ أي: قل "الله أكبر". وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : أنه صلى بالناس فدخل رجلٌ من الصحابة متأخرًا فقال: الله أكبر، ثم قال في دعاء الاستفتاح: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا

وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته قال: (أيكم قال كذا وكذا آنفًا؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت بضعًا وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يصعد بها إلى السماء) فهذا يدل على فضل تكبيره – سبحانه وتعالى – وتعظيمه ولذلك لما كبر تكبيرة الإحرام قال: الله أكبر كبيرًا، فالله أكبر من كل شيءٍ. ومن نظر في ملكوت الله وما بث في هذا الكون من دلائل عظمته وشواهد عزه وجبروته كبره من كل قلبه، فخرجت الله أكبر من لسانه ومن جنانه ومن جوارحه وأركانه. فنظر إلى السماء كيف بنيت، وإلى الأرض كيف بسطت، وإلى الجبال كيف أرسيت، وإلى الأنهار كيف أجريت، وكيف قدرت الأرزاق، وكيف جعل الله ﷻ دلائل عظمته وشواهد وحدانيته في هذا الكون، بل لو نظر في نفسه لقال: "الله أكبر" من كل قلبه. فتكبير الله ﷻ من ذكره وتعظيمه – سبحانه وتعالى – ومن عظم الله أحبه، فإذا ختم المسلم صلاته وقال هذه الكلمة ينبغي أن يقولها بيقينٍ ويقولها باعتقادٍ في عظمة الله – جل جلاله – الذي له ملك كل شيءٍ وتدبير كل شيءٍ ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

قال ﷺ : **[تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرةً]** قال بعض العلماء: هناك صفتان – فهذا اللفظ يحتمل وجهين –، وهما صفتان جائزتان:

الصفة الأولى: أن تقول: "سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر" حتى تبلغ ثلاثًا وثلاثين منهن مجتمعةً.

والصفة الثانية – وهي الأفضل والأكمل واختارها جمعٌ من العلماء وتقويها الروايات –: أن يقول أولاً: "سبحان الله" ثم يلي ذلك – بعد أن يتمها ثلاثًا وثلاثين – يقول: "الحمد لله" ثم إذا أتمها ثلاثًا وثلاثين قال: "الله أكبر" ثلاثًا وثلاثين أو أربعًا وثلاثين – على الصفتين المتقدمتين –، فهذا هو الأفضل والأكمل: أن تبدأ بالتسبيح ثلاثًا وثلاثين، ثم تتبعه بحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ثم تتبعه بتكبير الله ثلاثًا وثلاثين، وتختم بلا إله إلا الله أو تختم بقولك "الله أكبر" فتكون تمام الأربع والثلاثين. كل ذلك جائزٌ، والأفضل: ما ذكرناه؛ لأن الروايات تقوي الوجه الثاني.

في هذا الحديث دليلٌ على فضل هذه الكلمات الطيبات المباركات وأنه يستحب للمسلم أن يحافظ عليهن من بعد الصلوات كما ندب النبي ﷺ إلى ذلك فقراء المهاجرين، وأن من حافظ على هذه الكلمات الطيبات أدرك فضل من سبقه ممن لم يقل بها، وكذلك فات من بعده ممن لم يقل بها بشهادة رسول الله ﷺ.

فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ بعد وقالوا: **[يا رسول الله! سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله]** أي: أنهم أصبحوا يقولون نفس الذي نقول. هذه هي المشكلة جاءوا من أجل أن يسبقوهم ويعوضوا ما عندهم من الخير فسمع الأغنياء بما يقول الفقراء فقالوا مثلما قالوا، فاشتكوا إليه وهذا يدل على أن من طبع الله قلبه على الخير فحبب الخير إلى قلبه لا يسأم ولا يمل وأنه يطلب الخير ويطلب الزيادة، وهذا يدل على فضل فقراء المهاجرين – رضي الله عنهم وأرضاهم – فلولا أنهم سألوا هذه المسألة ما علمنا هذا الخير العظيم، فنسأل الله العظيم أن يجزيهم عن الأمة خيرًا، فهم وإن أدركهم الأغنياء لكن لهم فضلٌ في السؤال لا يخفى.

فقالوا: **[سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله]** فقال ﷺ: **[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء]** "ذلك" اسم إشارةٍ للبعيد، والعرب تشير بالشيء القريب و[.....] بالإشارة البعيدة للدلالة على علو مكانه وعلو شأنه ومنزلته كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ لم يقل: "هذا الكتاب" وإنما قال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ إشارةً إلى علوه وعظيم منزلته وشرفه وما اشتمل عليه من الآيات والعظات البالغات.

فقوله ﷺ : **[ذلك فضل الله]** الفضل: الزيادة، ولما كان العباد لا يستوجبون على الله – جل جلاله – شيئًا في الأصل قال ﷺ : **[ذلك فضل الله]** أي: محض فضلٍ من الله – سبحانه –، "يؤتيه" أي: يعطيه من يشاء، فالله يحكم ولا معقب لحكمه، والله يقضي وهو – سبحانه وتعالى – العدل الذي له القول الفصل ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ فوقف – عليه الصلاة والسلام – حيث أوقفه ربه – جل جلاله – واستوقف المهاجرين عند فضل الله – عز وجل – وقال: **[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء]** أي: ما دام أن إخوانكم حرصوا على الخير كما حرصتم وجمع الله لهم بين فضل الدين والدنيا فلا أملك لكم من الله شيئًا فذلك فضل الله. وفي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للمسلم إذا رأى على أخيه المسلم نعمةً أن يعلم أنها من فضل الله ﷻ إن رأى الإحسان منه. ومن هنا: إذا كان الإنسان على خيرٍ وبرٍّ وأعطاه الله النعمة فسخرها في طاعة الله وأمضاها في مرضاة الله ﷻ فإن ذلك من فضل الله، وعلى المسلم أيضًا، وفي هذه

الكلمة: وهي قوله – عليه الصلاة والسلام –: **[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء]** في قوله: "فضل" فيه دليلٌ على أن استقامة المستقيم وهداية المهتدي وصلاح الصالحين ما كان ولن يكون إلا بفضل الله رب العالمين. فعلى المسلم دائمًا أن يعتقد من كل قلبه أنه لا مهدي إلا من هداه الله، وأنه لا فضل إلا بفضل الله – جل جلاله – ومن هنا قال ﷺ : **[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء]**. ويستحب للمسلم أن يسأل الله من فضله ولذلك صح عن رسول الله ﷺ في دعاء دخول المسجد: (اللهم إني أسألك من فضلك العظيم) وعلى هذا قالوا: يستحب للمسلم أن يسأل الله من فضله العظيم، فقل: اللهم إني أسألك من فضلك. وإذا رأيت النعمة على أحدٍ فاعلم أنها من فضل الله، وإن كان فيها خيرٌ لك فاسأل الله أن يؤتيك كما أعطاه من فضله العظيم.

في هذا الحديث دليلٌ على فضل الذكر، وأن ذكر الله ﷻ تعلو به درجة الإنسان وتعظم به منزلته عند الله – سبحانه وتعالى –، ولذلك قال ﷺ: (ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: ذكر الله) فإذا رأيت الدنيا قد أسبلت ورأيت أهلها قد ذاقوا نعيمها وبهجتها وسرورها وأنت صفر اليدين من ذلك، فاجعل غناك بالله واجعل حلاوة الدنيا في ذكر الله – جل جلاله –، فإنك إن ذكرت الله أصبت خيرًا لم يصيبوه ونلت فضلاً لم ينالوه مهما تنعموا بنعيم الدنيا الفاني، فما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ. فخير الأعمال وأزكاها عند ذي العزة والجلال: كثرة ذكر الله – جل جلاله –، واختارها ﷺ : اختار الذكر من أجل أن يدرك الإنسان من فاته فقال ﷺ : **[أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم؟]** فدل على أن الذاكر لله يسبق من بعده ويدرك من قبله، ولذلك ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ : أنه كان في السفر بين مكة والمدينة، وانظروا إلى حكمته – صلوات الله وسلامه عليه – وكيف كان ينبه الناس، فهم الآن في السفر ومن عادة الناس في السفر: أنهم يتنافسون في المراكب فهذا يسبق هذا وكلٌ يريد أن يبلغ المنزل قبل القوم، فلما رآهم على هذه الحالة واقترب من جُمْدان – وجمدان: جبلٌ بحذاء خليص – وهذا الجبل كالكدية فاحتاجوا أن يرقوه فأصبح الناس يتسابقون فقال ﷺ: (سيروا – أي: جدوا – هذه كدية، جدوا هذا جمدان، سيروا هذا جمدان، سبق المفردون. قالوا: يا رسول الله! وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات) فمن أكثر من ذكر الله – جل جلاله – فقد أصاب خير الدين والدنيا والآخرة. والله لو عاش الإنسان مرقع الثياب، حافي القدم، في خماصةٍ من البطن، وضيقٍ من العيش، وهو يلهج لسانه بذكر الله وقلبه راضٍ عن الله،

فإنه يصيب من السعادة ما لا يبلغه الغني في عز غناه. ذكر الله من أجل النعم وأفضلها عند الله – سبحانه وتعالى –، لأن من ذكر الله ذكره الله، ولقد وصف الله عز وجل فضل الذكر وأنه أكبر، فقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ فذكر الله أفضل الأعمال وأحبها إلى الله ﷻ ، فإن رأيت الدنيا قد ولت عنك وانصرفت فاشغل لسانك بذكر الله وقلبك أيضًا بذكر الله. ومن ذكر الله – عز وجل –: حبه والرضا عما قسم لك من العيش. وفي هذا الحديث – أيضًا – دليلٌ على أنه ينبغي للمسلم أن يرضى بقسمة الله – عز وجل – وألا يتعب نفسه في أمرٍ لن يبلغه، فإن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عباسٍ – رضي الله عنهما –: (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) فالله خلق الخلق وأحصاهم عددًا وقسم أرزاقهم فلم ينس منهم أحدًا، فقسمة الله ماضيةٌ فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط، فالواجب على المسلم أن يحمد الله ﷻ على قسمته وأن يرضى بنعمته، فإذا رضي أرضاه الله ﷻ وجعل له البركة فيما أعطاه وأسدى إليه وأولاه.